علاقة الموقف من الاستشراق بدافع المستشرقين العلمي في دراسة التراث الإسلامي

إعداد: د. تركي بن خالد الظفيري

الدراسات الإسلامية ـ العقيدة والمذاهب المعاصرة

التربية=جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز بالخرج

المستخلص:

يُعنى هذا البحث بدراسة العلاقة بين الموقف من الاستشراق وبين الدافع العلمي للمستشرقين في دراسة التراث الإسلامي. **ويهدف إلى:** التعرف على اتجاهات الباحثين ومواقفهم من الاستشراق، والمقارنة بين مواقف الباحثين من الاستشراق، وإقرارهم بوجود الدافع العلمي للمستشرقين من عدمه، وأثر هذا الدافع في الدراسات المتعلقة بالتراث الإسلامي. **منهج البحث:** المنهج الاستقرائي والاستنباطي. **ومن أهم نتائج البحث:** ينقسم الباحثون للاستشراق إلى ثلاثة اتجاهات، وهي الاتجاه الرافض له، والاتجاه الناقد الموضوعي، واتجاه القبول المطلق له، وكل اتجاه انسجم رأيه في الدافع العلمي وأثره مع موقفه من الاستشراق، فالاتجاه الرافض يرى ندرة وجود الدافع العلمي وضعف أثره، والاتجاه الناقد يرى وجود الدافع العلمي ووضوح أثره، وأما اتجاه القبول المطلق يرى تمجيد الدافع العلمي للاستشراق. ومن أهم التوصيات: أهمية وجود مشروع علمي لتقييم الاستشراق وتحديد مفهوم يعبّر عن حقيقة منتجاته، وهذا المشروع يعالج الاستشراق من كل الجوانب العلمية التي أنتجها في التراث الإسلامي، والسياسة، والاقتصاد، والاجتماع، واللغة، والجغرافية، والتاريخ، وعلم الآثار، وغيرها، بحيث نقف بشكل دقيق على الاستشراق وأثره في العالم الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: المستشرقون، الاستشراق، التراث الإسلامي.

Abstract

The Relationship of Stance towards Orientalism with Orientalists' Scientific Motivation in Islamic Heritage Study

This research is about studying the relationship between the attitude towards Orientalism and the scientific motivation of Orientalists in the study of Islamic heritage. It aims to: Identify the orientation of researchers and their stances towards Orientalism, to compare between researchers' attitudes towards Orientalism, and whether they acknowledge the existence of the scientific motivation of Orientalists or not, and to know the impact of this motivation on studies belonging to Islamic heritage.

Research Methodology: For this research the inductive and deductive method are adopted, and following are some of the most important results of the research: The orientalism researchers are divided into three directions, one that rejects it, second that criticizes it objectively, and the third one that accepts it absolutely, and each orientation is in line with its opinion of the scientific motivation and its impact with its attitude towards Orientalism. The rejecting direction sees that there is scarcity of a scientific motivation and weak impact of it, the critic thinks that there is existence of scientific motivation and clear effect of it, however, the absolute acceptance trend considers that the scientific motive glorifies the Orientalism.

Among the most important recommendations: The importance of creating a scientific project to evaluate the Orientalism and define a concept that explains the truth of its outputs. In addition, this project will address the Orientalism from all scientific aspects. So that we can take a precise stand on Orientalism and its impact on the Islamic world.

Key words: Orientalists, Orientalism, Islamic heritage.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فمنذ أن بدأ الغرب في جعل الشرق مادة للدراسة والبحث والتحقيق، وما تلا ذلك من تسمية هذه الحركة العلمية بالاستشراق، فقد كانت بالمقابل مجالاً للنقد والدراسة والفحص من قبل أهل الشرق، وتعددت المواقف والآراء حول هذه الظاهرة، وهذا الاختلاف في المواقف له أسبابه وحيثياته. تنوعت دوافع الاستشراق وكتب عنها كثير من الكتاب والمهتمين بهذه الظاهرة، وكان من أشدها تبايناً دوافع الاستشراق العلمية من دراسة التراث الإسلامي، وهل لهذه الدوافع أثر في الدراسات الإسلامية؟ وهذا البحث الذي عُنونت له بــــ" علاقة الموقف من الاستشراق بدافع المستشرقين العلمي في دراسة التراث الإسلامي" يناقش هذه المسألة الدقيقة، وأسأل الله التوفيق والإعانة.

مشكلة البحث:

يناقش البحث العلاقة بين موقف المفكرين والكتاب من الاستشراق وبين آراء أصحاب هذه المواقف من الدافع العلمي للمستشرقين في دراساتهم للتراث الإسلامي، وهل لمواقفهم من الاستشراق أثر في الإقرار بوجود الدافع العلمي من عدمه؟ وإلى أي مدى كان لهذا الدافع أثر في الدراسات المتعلقة بالتراث الإسلامي؟.

حدود البحث:

سأقتصر في هذا البحث على أهم المؤلفات التي ناقشت الاستشراق ودوافعه، والتركيز على مواقف أصحابها من الاستشراق، وربط هذه المواقف بالدافع العلمي للمستشرقين وأثره في دراسات التراث الإسلامي.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى هدفين رئيسين:

١. التعرف على اتجاهات الباحثين ومواقفهم من الاستشراق.

٢. المقارنة بين مواقف الباحثين من الاستشراق، وإقرارهم بوجود الدافع العلمي للمستشرقين من عدمه، وأثر هذا الدافع في الدراسات المتعلقة بالتراث الإسلامي.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي والاستنباطي، من خلال استقراء ومقارنة آراء الكتاب حول الاستشراق ودوافعه، واستنباط العلاقة بين مواقفهم من الاستشراق وإقرارهم بالدافع العلمي من عدمه.

الدراسات السابقة:

المؤلفات حول الاستشراق كثيرة، وأغلبها أشارت لدوافع الاستشراق إجمالاً ومن وجهة نظر المؤلف، ولم أطلع على بحث مختص يقارن بين مواقف المؤلفين من الاستشراق، وإقرارهم للدافع العلمي من عدمه، وأثر هذا الدافع في دراسات التراث الإسلامي.

خطة البحث: تكونت من مقدمة، وثلاثة مباحث:

المقدمة: اشتملت على موضوع البحث، ومشكلته وحدوه، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته.

المبحث الأول: المستشرقون والتراث الإسلامي.

المبحث الثاني: اتجاهات الباحثين المسلمين تجاه الاستشراق.

المبحث الثالث: مواقف الباحثين المسلمين تجاه الدافع العلمي للاستشراق وأثره في دراسات التراث الإسلامي.

☐

المبحث الأول: المستشرقون والتراث الإسلامي

اهتم المستشرقون في مجالات متعددة من التراث الإسلامي كالدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم وتفسيره، والسنة النبوية، والفقه الإسلامي، والتصوف، والسيرة النبوية، واللغة العربية، والشعر والأدب، والتراجم، وغيرها؛ لذلك كان لهم أثر بارز في الحراك الثقافي المتعلق بالتراث الإسلامي، فأثر الاستشراق في الفكر الإسلامي الحديث -سلباً أو إيجاباً- واقع لا يمكن إنكاره(١)، وقد قام بعض الباحثين بحصر إسهامات المستشرقين في خدمة التراث في خمسة مجالات(٢):

أولاً: البحث عن المخطوطات وفهرستها وتوثيقها: بحث المستشرقون عن المخطوطات الإسلامية والعربية، وطلبوها بالأسفار الطويلة، حتى توفر لديهم النفيس من هذه المخطوطات، وأكثرها من الأمهات والنوادر، وعملوا على فهرستها وتوثيقها(٣). ولم يكن هذا الاهتمام بالمخطوطات الشرقية مقتصر على الباحثين والعلماء، بل إن "بعض الحكام في أوربا يفرضون على كل سفينة تجارية تتعامل مع الشرق أن تحضر معها بعض المخطوطات .. ومنذ الحملة النابليونية على مصر عام ١٧٩٨م تزايد نفوذ أوروبا وساعد ذلك على جلب الكثير من المخطوطات .. وقد تم جمع هذه المخطوطات في أوروبا بطرق مشروعة وغير مشروعة"(٤)، ومع هذا الكم الهائل من المخطوطات استطاع المستشرقون أن يصدروا مئات الفهارس كأدوات ببلوجرافية تحصر الإنتاج المخطوط في عدد من المكتبات العالمية الكبرى،

(١) انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، ط٢. القاهرة: دار المنار١٤٠٩هـ، ص١٢.
(٢) انظر: المستشرقون ونشر التراث دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر، علي بن إبراهيم النملة، ط١، الرياض، ١٤٢٣ه، ص٢٥-٢٦، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د.محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص ٦١.
(٣) انظر: المستشرقون، نجيب العقيقي ، ط٣، مصر: دار المعارف، ١٩٦٤م ، ١١٢٤/٣.
(٤) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د.محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص ٦٣.

مثل: فهرس المخطوطات الشرقية في مكتبة مجلس الشيوخ في ليبزيج عام ١٨٣٨م بألمانيا، والفهرس الخاص بالمخطوطات العربية في المتحف البريطاني عام ١٨٩٤م، وفهرس المخطوطات العربية والفارسية والتركية بمكتبة فيينا العامة عام ١٨٦٧م، وفهرس المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية في باريس عام ١٨٩٥م، وقائمة المخطوطات العربية في مكتبة جامعة برنستون بأمريكا عام ١٩٠٤م، وغيرها كثير[١]. وفي دراسة إحصائية قام بها د. عبدالعظيم الديب لمجموعة من الكتب، أثبت فيها أن المخطوطات المتعلقة بالتصوف والفلسفة وعلم الكلام كانت هي الغالبة؛ فقد بلغت نسبتها ٤٣%، ونسبة ٣٠% تتعلق بالتراجم والتاريخ، وأما في مجال اللغة والأدب والبلاغة فقد بلغت نسبتها ١٢,٨%، وفي اختصاص التفسير والفقه كانت النسبة ٦,٤%، والرحلات والجغرافيا ٤,٣%، والعلوم ٣,٢ %، وبهذا يتبين اهتمام المستشرقين بمجال التصوف والفلسفة وكان له أولوية فاقت غيره من المجالات[٢].

ثانياً: تحقيق كتب التراث: لم يكتف المستشرقون بجمع المخطوطات وفهرستها، بل انتقلوا إلى مرحلة التحقيق والنشر، فعملوا على مقابلة النسخ المختلفة، وأضافوا إلى ذلك فهارس أبجدية للموضوعات والأعلام، كما قاموا بشرح بعض هذه الكتب[٣].

والقيام بهذه المهمة "ليس هيناً أبداً ولا يمكن أن يعتمد على المصادفة، بل لا بد أن يكون مبنياً على أسس علمية بناءة وقواعد ثابتة، فقد بذل الاستشراق جهداً مؤثراً لا يمكن إغفاله أو إنكاره، إذ وضع علماؤه القواعد الأساسية للسير عليها في نشر المخطوطات وتحقيقها معتمدين على

---

(١) انظر: الاستشراق ودوره في توثيق وتحقيق التراث العربي المخطوط، عباس طاشكندي، مجلة عالم الكتب، الرياض، العدد لأول، م (٥)، ١٩٨٤م، ص ٨-١٠.

(٢) انظر: المستشرقون والتراث، عبدالعظيم الديب، ط٣، المنصورة: دار الوفاء، ١٩٩٢م ، ص١٥.

(٣) انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د.محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص ٦٤-٦٥.





المبادئ التي توصل إليها علماء الآداب الكلاسيكية في أواسط القرن التاسع عشر، وقد استخدم المستشرقون هذه المبادئ في إحياء الكتب العربية".[١]

ثالثاً: التأليف: تعددت مجالات تأليف المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية "وبلغ عدد ما ألفوه عن الشرق في قرن ونصف – منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين- ستين ألف كتاب"[٢]، فقد ألفوا في المعاجم كالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ومعاجم اللغة العربية، كما ألفوا في كل ما يتعلق بالإسلام، فتحدثوا عن الإله –سبحانه وتعالى- وعن النبي –صلى الله عليه وسلم- وعن سنته وسيرته والقرآن الكريم والعقيدة الإسلامية والفقه الإسلامي وتاريخ المسلمين وبلدانهم وعاداتهم، وتحدثوا بإسهاب عن الفتوحات الإسلامية وأثرها على الحملات الصليبية[٣]. وتختلف الكتب التي ألفها المستشرقون من حيث الموضوعية ودقة المحتوى المؤلّف، فهناك كتب لها أثرها وقيمتها وعدلها مع المسلمين، وهناك كتب أخرى يظهر فيها التطرف وتبييت النية لتشويه الإسلام[٤]، وسأتطرق بشيء من التفصيل عند الحديث عن الدافع العلمي للمستشرقين.

رابعاً: ترجمة التراث إلى اللغات الأوروبية: ترجم المستشرقون آلاف الكتب العربية والإسلامية إلى اللغات الأوروبية كافة، فقد نقلوا إلى لغاتهم كثيراً من كتب اللغة والأدب، والتاريخ، والعلوم الإسلامية، والفلسفة، والطب، والفلك، وغيرها من العلوم (٥)، فقد تُرجم للغة الفرنسية وحدها

---

(١) فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمايلوفتش، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٨م ص٥٥٠.

(٢) انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د.محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق ص٦٧.

(٣) انظر: المستشرقون، نجيب العقيقي، مرجع سابق، ٣/١١٣٢-١١٤١.

(٤) انظر: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، د.إسماعيل علي محمد، ط٣، القاهرة: الكلمة للنشر والتوزيع،٢٠٠٠م، ص٨٠.

(٥) انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د.محمود حمدي زقزوق،





أكثر من ٢٤٦٦ مصنفاً، أسهمت في بناء الحضارة الأوروبية(١)، أما القرآن الكريم فقد تمت ترجمة معانيه لأول مرة في القرن الثاني عشر، وقد قام المستشرقون من ذلك الوقت وحتى الآن بإعداد العديد من ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية كافة، وقد بلغت الترجمات حوالي مئة وواحد وعشرين لغة في أنحاء العالم، وقد بلغت الترجمات الكاملة لمعاني القرآن الكريم في اللغات الأوروبية مع طبعاتها المتعددة ستمئة وواحد وسبعين ترجمة وطبعة[٢].

خامساً: التدريس الجامعي: لا تكاد تخلو جامعة أوروبية أو أمريكية من "معهد خاص للدراسات الإسلامية والعربية، بل يوجد في بعض الجامعات أكثر من معهد للاستشراق مثل جامعة ميونخ -على سبيل المثال- حيث يوجد بها معهد للغات السامية والدراسات الإسلامية ومعهد لتاريخ الشرق الأدنى، ويرأس كل معهد أستاذ ويساعده بعض المحاضرين والمساعدين، وتقوم هذه المعاهد بمهمة التدريس الجامعي وتعليم العربية، وتخريج الدارسين في أقسام الماجستير والدكتوراه ممن سيواصلون أعمالهم في المجال الاستشراقي الأكاديمي أو غيره من مجالات أخرى في السلك الدبلوماسي أو الالتحاق بأعمال في الأقسام الشرقية بدور الكتب، أو في مراكز البحوث المهتمة بالشرق، أو غيره من أعمال في جهات لها صلة بالشرق".[٣]

مرجع سابق، ص٦٦.

(١) انظر: المستشرقون، نجيب العقيقي، مرجع سابق، ٣/١١٣٠.

(٢) انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د.محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص٦٦-٦٧.

(٣) انظر: المرجع نفسه، ص٦١.

المبحث الثاني: اتجاهات الباحثين المسلمين تجاه الاستشراق

أثار الدافع العلمي عند المستشرقين خلافاً بين الباحثين في مجال الاستشراق، ومن وجهة نظري أن هذه المسألة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بآراء الباحثين في الاستشراق ذاته؛ لذلك يحسن أن نتأمل آراءهم حول الاستشراق ونرى علاقة ذلك بآرائهم عن الدافع العلمي له.

ويمكننا أن نقسم الباحثين في مواقفهم تجاه الاستشراق إلى ثلاثة أقسام، هي:

القسم الأول: الاتجاه الرافض للاستشراق:

الاتجاه الرافض يرى من الاستشراق عدواً قادماً من الغرب، ولم ير قسم كبير من الباحثين المسلمين في الاستشراق إلا وجه أوروبا النصراني، ويعتبرون الاستشراق كله أداة من أدوات التبشير والاستعمار[1]، وبالنظر إلى تاريخ الاستشراق وبداياته نجد أن بعض الكتاب يرى أن الاتصال بين الحضارتين كان إيجابياً في بداياته، ويسجل مصطفى السباعي ملحظاً مهماً حول إقبال بعض الرهبان الغربيين على المدراس الإسلامية في الأندلس، وتتلمُذهم على علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة الفلسفة والطب والرياضيات، وبعد عودة هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم، ثم أسست المعاهد للدراسات العربية، وترجموا معاني القرآن الكريم وبعض الكتب العلمية والأدبية، ويرى أن طمع الغرب في العالم الإسلامي عن طريق الاستعمار جعل من الاستشراق أداة طيعة للمستعمرين؛ ليتعرفوا من خلال الاستشراق على مواطن القوة والضعف في دراسة الإسلام وعادات وثروات المسلمين، والعمل على إضعاف

---

(١) انظر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د. خضر شايب، الرياض: العبيكان، ص١١١

المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين، وبث الوهن والارتباك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث[(١)].

ومن أشد الكتاب في كتاباته ضد الاستشراق أنور الجندي ، فهو يرى أن الاستشراق نشأ مع بدايات النشاط التنصيري في أوائل القرن التاسع عشر بهدف تحقيق السيطرة الاستعمارية[(٢)]، ويؤكد في موطن آخر على أن الاستشراق نشأ نتيجة للامتداد والتوسع العربي الإسلامي، فعلى أثر هذا التوسع ترأس البابا كليمان الخامس مؤتمر فيينا ١٣١١م وتقرر فيه تأسيس مدارس خاصة في برلين وبلون واكسفورد وسلمنكة تُدرّس فيها العربية والعبرانية والكلدانية لتنصير المسلمين، بدأ في أحضان البابوات والكنيسة ثم تحول إلى خدمة الملوك ورجال السياسة، ويهدف إلى دراسة الشرق ولغاته وتاريخه والعقلية العربية[(٣)].

وعدّ محمود محمد شاكر المستشرقين بأنهم " أهم وأعظم طبقة تمخضت عنها اليقظة الأوروبية؛ لأنهم جند المسيحية الشمالية، الذين وهبوا أنفسهم للجهاد الأكبر .. وفي قلوبهم كل اللهيب الذي في قلب أوروبا، والذي أحدثته فجيعة سقوط القسطنطينية في حوزة الإسلام ..." [(٤)].

وقد عدّه عبدالرحمن حبنكه من أجنحة المكر الثلاثة، ويرى أن هدف دراستهم للإسلام خدمة التنصير والاستعمار الغربي لبلاد المسلمين،

---

(١) انظر: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، مصطفى السباعي، بيروت: دار الوراق للنشر والتوزيع- المكتب الإسلامي، ص ١٧-١٨، و٢٢.

(٢) انظر: التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة، أنور الجندي، القاهرة: دار الأنصار، ص٦.

(٣) انظر: تاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين، أنور الجندي، القاهرة: دار الاعتصام، ص٥٣-١٥٤، وانظر: رؤية إسلامية للاستشراق، بيرمنجهام: المنتدى الإسلامي، ط٢، ١٤١١هـ،ص٢٦-٢٨، التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة، أنور الجندي، مرجع سابق، ص٧٦.

(٤) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٤٨-٥٠.

وإعداد الدراسات اللازمة لمحاربة الإسلام وتحطيم الأمة الإسلامية، وتجزئتها، وتفتيت وحدتها[١].

لقد رأى هؤلاء الكتاب في الاستشراق عدواً مبيناً، لم يأتِ لبلاد الإسلام إلا لنهب ثرواته، وتشويه دينه، هذه الرؤية التي ركزت على نشأة الاستشراق وربطه بمشاريع التنصير والاستعمار وإخضاع العالم الإسلامي، لم ترَ في الاستشراق إلا خطراً على العالم الإسلامي، ورفعت أقلام الجهاد العلمي ضده في النقد والمواجهة.

ومن وجهة نظري أن هذه الرؤية للاستشراق لها وجاهتها عند أوائل الكتاب الذين اطلعوا على كتب المستشرقين، وعاصروا سلطة الاستعمار على بلاد المسلمين، وعايشوا التحولات الثقافية والفكرية، بل كان لهم أثر كبير في التحذير من كتب المستشرقين وأهمية فحصها بعناية وعدم التسليم بأقوالهم تجاه الإسلام وتراثه.

القسم الثاني: الاتجاه النقدي للاستشراق:

اتخذ أتباع هذا الاتجاه منهج النقد العلمي الموضوعي؛ لمعرفة ما فيه من نفع أو ضرر، ومن حق أو باطل، فهؤلاء لم يقبلوا الاستشراق على إطلاقه، ولم يرفضوه بإطلاق، بل وضعوا الاستشراق في ميزان العدل والبحث والتدقيق، فهذا الاتجاه "لا يلتقي مع مدرسة الاستشراق في كثير من مواقفها من التراث العربي الإسلامي، ويردّ عليها من خلال منهج نقدي علمي، ويدين بعض اتجاهات الاستشراق في تجاهلها لكثير من الحقائق العلمية. فهو لم يرفض المدرسة الاستشراقية، وإنما رفض بعض مواقف المستشرقين من التراث العربي الإسلامي، وناقش تلك الأفكار من منطلق البحث العلمي"[٢].

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، عبدالرحمن حسن حبنكه، ط٨، دمشق: دار القلم، ١٤٢٠هـ، ص١٢٠

(٢) الاستشراق، تعريفه، مدارسه، آثاره، محمد فاروق النبهان، الرباط: منشورات

يسمي د. علي النملة هذا الاتجاه بموقف المواجهة، والتي تعني أن هناك اختلافاً في أمر من الأمور التي تحتاج مواجهة، مما يدل أن هذا الفريق لا يقر المستشرقين إقراراً تاماً، بل لابد من الدراسة والبحث والغوص في إسهامات المستشرقين والتدقيق فيها، مع الاعتراف بتأثير الاستشراق في المسلمين عقديّا وفكريّا وثقافياً، والتفريق بين المتعصب من المستشرقين والنزيه منهم(١).

كما يسمي د. لخضر الشايب هذا القسم بالقسم المتقبل للاستشراق، وأكد في بداية حديثه أن المفكرين المنتمين إلى هذا القسم لا يقبلون إنتاج المستشرقين جملة وتفصيلاً، بل يقسمونهم إلى مسهمين فعالين في حركة إحياء التراث الإسلامي، وآخرين ينظر لهم نظرة الريبة والحذر باعتبار أن إنتاجهم قد افتقد إلى كثير من عناصر البحث العلمي الموضوعي(٢).

وقد اخترت لهذا القسم عنوان: القسم النقدي للاستشراق، فأصحاب الاتجاه النقدي يسعون إلى أن يكون لهم رؤية موضوعية عن الاستشراق وأهدافه وأعماله ومنشوراته العلمية، مع نقد ما يرونه سلبيّا من وجهة النظر الإسلامية، ويذكرون الإيجابيات التي تذكر للاستشراق في المجالات العلمية المتعلقة بالدراسات العربية والإسلامية(٣)،وهذا ما يؤكد عليه عمر فروخ بأن النظر في الاستشراق وفي المستشرقين -كالنظر في كل أمر آخر وفي كل قوم آخرين – يجب أن يكون إلى عمل الفرد لا إلى اسمه، ثم قسّم المستشرقين إلى محسنين ومسيئين، وذكر أنهم طبقة

المنظّمة الإسلامية للتربية والإعلام والثقافة، ، ٢٠١٢م ص ٧٤.

(١) انظر: الاستشراق والدراسات الإسلامية، د.علي النملة، ط١، الرياض: مكتبة التوبة،١٤١٨هـ، ص٢٢٣-٢٢٤.

(٢) انظر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د. لخضر شايب، مرجع سابق، ص ١١٧.

(٣) انظر: الإسلام في تصورات الغرب، د. محمود حمدي زقزوق، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة،١٤٠٧هـ، ص٩-١٠.

من الناس كالأدباء والفقهاء والعلماء والمؤرخين والفلاسفة، فيهم البارع والعادي والخائب، وفيهم الأمين والخابط والخائن، وفيهم القادر والضعيف والعاجز[١].

ويرى أصحاب هذا الاتجاه -أيضاً- أهمية مدّ جسور التواصل مع المستشرقين المعتدلين، والعمل على حوار مثمر بين الطرفين، والمشاركة في مختلف فعاليات الاستشراق ونشاطاته بقصد التأثير الإيجابي فيها، وتشجيع الإسهامات الإيجابية في النتاج الاستشراقي الجديد وترجمته إلى العربية، ودعوة المستشرقين الإيجابيين إلى مؤتمرات عربية وإسلامية[٢].

القسم الثالث: اتجاه القبول المطلق للاستشراق:

بدأ هذا الاتجاه متزامناً مع العائدين من أعضاء البعثات الغربية في القرن التاسع عشر أو المتأثرين بهم، من أمثال رفاعة الطهطاوي الذي أقام في باريس أربع سنوات (من عام ١٨٢٦م إلى ١٨٣١م) ثم عاد إلى مصر وأثر فيها، وكذلك خير الدين التونسي الذي أقام في باريس – أيضاً- أربع سنوات (من ١٨٥٢م إلى ١٨٥٦م) وكانت آراؤهما صدىً لتفكير القرن الثامن عشر في أوروبا، وفي فرنسا الثائرة بوجه خاص، وأسهما بنشر القومية والحرية بالمفهوم الأوروبي[٣]، يقول محمود شاكر إن هؤلاء " يكونون أشد استجابة على اعتياد لغة فرنسا وتقاليدها، فإذا عادوا إلى مصر كانوا حزباً لفرنسا وعلى مر الأيام يكبرون ويتولون المناصب صغيرها

(١) انظر: مجلة الاستشراق، مقال: المستشرقون مالهم وما عليهم، د.عمر فروخ، العدد الأول: كانون الثاني، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ص٥٤-٥٨.
(٢) انظر: الاستشراق والدراسات الإسلامية، د.علي النملة، مرجع سابق، ٢٢٦-٢٣١، والاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د.محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص١٣-١٤.
(٣) انظر: الإسلام والحضارة العربية، محمد محمد حسين، ص١٨-١٩، ورسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر، مرجع سابق، ص١٥٦.

وكبيرها، ويكون أثرهم أشد تأثيراً في بناء جماهير كثيرة تبث الأفكار التي يتلقونها في صميم شعب دار الإسلام في مصر.."[١].

وقد وصف أنور الجندي المنتمين لهذا القسم بـ"خلفاء المبشرين"[٢]، ويقول: "وقد وجدت هذه المعركة أقلاما إسلامية بالوراثة تخدمها وتقول ما يريد لويس التاسع عشر على نحو ما قال طه حسين وعلي عبدالرازق من دعاوى الفصل بين الإسلام والمجتمع وبين العقيدة الدينية والأدب والسخرية بما أورده القرآن ودعوة الشباب إلى نقده والنظر إلى الصحابة على أنهم من محترفي السياسة ..." [٣]. وكتب عن طه حسين بأنه من أهل التبعية لمناهج المستشرقين، بل قال عنه بأن بعضهم يصفه بالمستشرق من أصول عربية وأشار إلى كتابه مستقبل الثقافة في مصر وآرائه حول العرب بأنهم قوم مستعمرون كالرومان والفرس وقوله بأن القرن الثاني للهجرة كان عصر شك ومجون والذي اعتمد فيه على كتب المستشرقين[٤].

---

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر، مرجع سابق، ص١٤١.
(٢) انظر: التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة،أنور الجندي، مرجع سابق، ٥١-٥٤.
(٣) المرجع نفسه ،ص٥.
(٤) انظر: المرجع نفسه، ١٣٦-١٣٧.





المبحث الثالث: مواقف الباحثين المسلمين تجاه الدافع العلمي للاستشراق وأثره في دراسات التراث الإسلامي

اتضح من خلال المبحث الثاني أقسام الباحثين تجاه الاستشراق ذاته، فهناك الرافض له بإطلاق، وآخرون يرون نقده بموضوعية وعدل وهذا هو المنهج المختار للتعامل مع الاستشراق، وقسم ثالث قبله بإطلاق، هذه المواقف الثلاثة مؤثرة بدرجة كبيرة في معرفة مواقف الباحثين المسلمين تجاه الدافع العلمي للاستشراق، وبعد تأمل آراء أصحاب هذه المواقف نستطيع تقسيم آرائهم للدافع العلمي إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يرون ندرة وجود الدافع العلمي، وضعف أثره في دراسات التراث الإسلامي.

القسم الثاني: يرون وجود الدافع العلمي، ووضوح أثره في دراسات التراث الإسلامي.

القسم الثالث: يمجدون الدافع العلمي وأثره في دراسات التراث الإسلامي.

القسم الأول: يرون ندرة وجود الدافع العلمي، وضعف أثره في دراسات التراث الإسلامي:

الذين يرون ندرة دوافع المستشرقين العلمية، وضعف أثره في التراث الإسلامي؛ هم من أصحاب الموقف الرافض للاستشراق والذي يراه عدواً للحضارة الإسلامية، وناصراً للتنصير والاستعمار، فيرون أن الدوافع العلمية عند المستشرقين قليلة جداً، ويعتريها الجهل في كثير من الحالات، وحتى هؤلاء المستشرقين المنصفين لديهم مؤثرات عديدة تضعف مؤلفاتهم، وهذا يؤدي إلى عدم اعتبار وجود أثر للدافع العلمي في الدراسات الإسلامية، فأصحاب هذا القسم رافضون للاستشراق، ووقفوا أمام حقائق علمية لها أثر في التراث الإسلامي، إلا أنهم قللوا منها إلى درجة الإنكار لأثرها، وهذا مخالف للموضوعية العلمية، ومخالف للمنهج الشرعي

مع المخالف، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨]

فهؤلاء الباحثون يرون وجود الارتباط العضوي بين الدراسات الاستشراقية وبين الاستعمار والتنصير، وأن دراساتهم لا يمكن أن تلتزم بالموضوعية والأمانة العلمية في تناولها للإسلام بوجه خاص بسبب الارتباط العضوي بينها، وأن هذه الدراسات تسهم بشكل فعّال في صنع القرار السياسي في الغرب ضد الإسلام والمسلمين، وعلى سبيل المثال هناك بعض المستشرقين وعلاقتهم بالقرار السياسي أمثال: سنوك هرجرونيه المستشرق الهولندي الذي عمل مستشاراً لحكومته في تخطيط سياستها ضد أندونيسيا المسلمة، وماكدونالد المستشرق البريطاني الذي عمل مستشاراً لحكومته في تخطيط سياستها ضد المسلمين في شبه القارة الهندية وغيرهما(١).

ومن أتباع هذا القسم أنور الجندي الذي يرى أن المستشرق يسيطر عليه التعصب والهوى والانحراف بحيث لا يمكن إخضاعه لروح البحث العلمي الصحيح، ذلك أن العاملين في هذا المجال وأغلبهم من المستشرقين هم بحكم عملهم مرتبطون بمؤسسة الكنيسة أو بمؤسسة الاستعمار، بل حتى القلة القليلة من الباحثين في تاريخ الإسلام بإنصاف - أمثال توماس كارليل، وجوستاف لوبون، وسيجريد هونكه – فيرى أنهم في الغالب تنقصهم القدرة على اكتشاف بلاغة القرآن أو فهم روح الإسلام نتيجة ارتباطهم بمفاهيم دينهم و لغاتهم وفكرهم وميراثهم الطويل الممتد إلى الفلسفة اليونانية، وهذا ما يجعل نظرتهم إلى الفكر الإسلامي

(١) انظر: رؤية إسلامية للاستشراق، مرجع سابق، ٨-١٠، وانظر: الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغرب، ص ١٥٢-٢٣١، والاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري،٢٩-٣٢و٤٤-٤٨، والاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ص ٢٠-٢٥.





قاصرة كلياً مما يجعل كتاباتهم تحتاج إلى تصحيح وتصويب[١]، وهو بهذا لا يرى أثراً مهماً حتى للقلة المنصفة، ويذهب أنور الجندي إلى أبعد من ذلك فيرى أن الكتاب الغربيين على وجه العموم تحكمهم عقدة التفوق حين ينظرون إلى البشرية فيرون أن الجنس الأبيض أكثر تقدما بحكم طبيعته[٢]، وهي ذات النظرة التي عبر عنها إدوارد سعيد في كتابه الاستشراق بـــ " تمثيل الشرق" والذي أوضح فيه كيف استغل المستشرقون في تصويرهم للشرق ناحيتين فنيتين ارتكزت عليهما صورة الشرق:

أولاهما: الناحية الأكاديمية التي شكلت غطاءً شرعياً تُزعَم من تحته البراءة، فالباحث الأكاديمي تتمتع أقواله بالمصداقية، ومن هنا جاء ما أحدثه صورة برنارد لويس عن الشرق من تأثير في عقلية الغرب وموقفه من الشرق. وبهذا فإن الاستشراق يصبح والحالة هذه أداة في متناول المؤرخين، ومن ثمّ السياسيين.

ثانيهما: الخيال. فقد صاغ المستشرقون صورة للشرق بخيال جعل هذه الصورة تبدو وكأنها تمثيل أو انعكاس خفي للواقع. وكان لهذه الممارسة أكبر الأثر في تسويق الاستشراق من خلال مصداقية الخيال المعهودة، فالذي يقرأ ما كتبه المستشرقون عنّا يقع تحت تأثير الخيال ومن ثمّ يصدق الصورة[٣].

ويرى محمد الغزالي أن "المستشرقين جميعاً فيهم قدر مشترك من هذا الخصام المتجنّى، والتفاوت – إن وجد بينهم- إنما هو في الدرجة فقط، فبعضهم أكثر تعصباً ضد الإسلام، وعداوة له من البعض الآخر، ولكن

---

(١) أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني، ص ٢٤.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ص ٢٢.

(٣) انظر: الاستشراق، إدوارد سعيد، ترجمة: د.محمد العناني. ط١، القاهرة: دار رؤية، ٢٠٠٦م، ص١١٠ وما بعدها.

يصدق عليهم جميعاً أنهم أعداؤه .. وهؤلاء يريدون الاستمتاع بحق الباحث المحايد، أو بحق العالم المجتهد في أن يصيب ويخطئ، ولو أنهم عشاق معرفة مجردة، يبحثون عنها بحرارة وإخلاص لعذرنا المخطئ منهم، وأقلنا عثرته .. أما وهم محاربون خبثاء يصطنعون الطيبة للتوغل والاستمكان فهيهات أن نعاملهم إلا بذات أسلحتهم"(١). فهو لا يرى أحداً منهم منصفاً وموضوعياً في بحثه عن الإسلام.

ويذكر أ.د. محمد الجليند أن "عدداً قليلًا من المستشرقين طلبوا علوم الشرق والتعرف على حضارته طلباً بالمعرفة، وهذا عدد قليل إذا قيس بأعداد المستشرقين الآخرين، وهذا النوع من المستشرقين يتميز بالروح العلمية النزيهة، والدقة في الأحكام العلمية والإنصاف فيها .. وقد يصل به الأمر في نهاية المطاف إلى أن يعلن إسلامه، ويعلم المختصون في هذا اللون من الدراسات أن هناك عدداً غير قليل من المستشرقين يتمتعون بهذه الروح العلمية النزيهة، وقد تحولوا بعد إسلامهم إلى جنود مدافعين عن الإسلام وقضاياه، وعن العالم الإسلامي ومشكلاته، غير أن هناك أموراً يشترك فيه جميع المستشرقين بما فيهم هذا النمط الأخير، فهم جميعا قد يقعون في أخطاء علمية بسبب جهلهم بأساليب اللغة العربية وطرائق التعبير فيها، ويرتبون على فهمهم الخاطئ نتائج وأحكاما خاطئة تبتعد بهم كثيرا عن منطق الصواب والإنصاف، وقد يكون الفارق بين هذا النمط الأخير وغيرهم هو توفر حسن النية عند النمط الأخير الذي تميز بالإنصاف والنزاهة وتوفر سوء القصد وعدم النزاهة عند غيرهم"(٢)، وهو ما يؤكده عبدالرحمن حبنكة أن هؤلاء مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق ، إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية، وإما لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية على

(١) انظر: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، ط٧، القاهرة: دار نهضة مصر، ٢٠٠٥م، ص٨-٩.
(٢) انظر: الاستشراق والتبشير، أ. د. محمد السيد الجليند، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ص٢٤

حقيقتها، فيتصورونها كما يتصورون مجتمعاتها، ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والزمنية التي تفرق بين الأجواء التاريخية التي يدرسونها، وبين الأجواء الحاضرة التي يعيشونها[١] .

ويوافقهم –أيضاً- مصطفى السباعي على أن نفراً قليلاً من المستشرقين أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأً في فهم الإسلام وتراثه؛ لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدّس والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العملي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين، كما يوافقهم أن هذه القلة المنصفة قادها بحثها إلى الإسلام والإيمان برسالته، ويؤكد السباعي أن سبب قلة هؤلاء الباحثين أنهم لا يوجدون إلاّ حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص؛ لأن أبحاثهم المجرّدة عن الهوى، لا تلقى رواجاً، لا عند رجال الدين، ولا عند رجال السياسة، ولا عند عامة الباحثين، ومن ثم فهي لا تَدُرُّ عليهم ربحاً ولا مالاً، وعند ذكر السباعي للأهداف وصف الهدف العلمي بأنه مشبوه، وأوضح تشكيكهم بصحة رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم- وإنكارهم أن يكون الإسلام ديناً من عند الله تعالى، وتشكيكهم في صحة الحديث النبوي وغيرها، وذكر أن الأهداف العلمية المشبوهة هي التي يعمل لها أكثر المستشرقين وجمهرتهم الساحة[٢].

وخصصت فاطمة أبو النجا حديثاً للدافع العلمي عند ذكرها لدوافع الاستشراق، وأشارت إلى أنه منذ أواخر القرن السابع عشر الميلادي، ظهر نفر قليل جداً من المستشرقين، أقبلوا على الدراسات الإسلامية بدافع حب الاطلاع والبحث والتمحيص لحضارات الأمم، وخاصة دراسة التراث العربي

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، مرجع سابق، ص١٣٢-١٣٣.
(٢) انظر: الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص٢٤ -٣٠.

والإسلامي، وكانت هذه القلة من المستشرقين أقل من غيرهم خطأً في فهم الإسلام؛ لأنهم لم يكونوا يتعمدوا الدس والتحريف، ومنهم من اهتدى للإسلام وآمن برسالته، كما توافق أبو النجا مع ما ذهب إليه مصطفى السباعي بأن هؤلاء قلمّا يوجدون؛ لأن مواردهم خاصة، فأبحاثهم المجرّدة عن الهوى لا تلقى رواجاً من الساسة ورجال الدين(١).

ومن الباحثين من نبّه إلى أهمية "الحذر من إطلاق وصف الموضوعية أو الإنصاف على كل من قال أو كتب بعض عبارات المدح في الإسلام .. فموضوعية مثل هؤلاء موضوعية نسبية أي بالنسبة لغيرهم من المستشرقين، وليست موضوعية مطلقة، وإلا كتاباتهم الأخرى لا تخلو من قدح في الإسلام وغمز ولمز، إما صراحة وإما ضمناً"(٢).

فأصحاب هذا الموقف يرون أن الدافع العلمي عند قلة قليلة من المستشرقين يظل ضئيلاً ومحدود الأثر، ويكاد يتوارى من خريطة الدراسات الاستشراقية بسبب كثرة الإنتاج المعادي للإسلام والمتحامل ضده(٣).

نستطيع إجمال قول أصحاب هذا القسم بأنهم يرون ندرة الباحثين الموضوعيين من المستشرقين، وهؤلاء القلة القليلة يمكن تمييزهم بأربع صفات: أنهم قلة منصفة، وأن الخطأ وارد منهم نتيجة لجهلهم بالإسلام، ومارسوا مهامهم في البحث عن طريق مواردهم المالية خاصة من غير دعم حكومي، وعدد منهم قادهم إنصافهم إلى الإسلام.

القسم الثاني: يرون وجود الدافع العلمي، ووضوح أثره في دراسات التراث الإسلامي:

---

(١) انظر: نور الإسلام، فاطمة أبو النجا، ط١، لبنان: دار الإيمان، ١٩٩٣م، ص٧١-٧٢.
(٢) الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، د.إسماعيل علي محمد، ط٣، القاهرة: الكلمة للنشر والتوزيع،٢٠٠٠م، ص٤٥.
(٣) انظر: المرجع نفسه، ص٥٤.

وهؤلاء هم أصحاب الاتجاه النقدي للاستشراق الذي يسعى لتقييم الاستشراق باعتدال ويرى فيه النافع والضار، والإيجابي والسلبي، وهؤلاء يختلفون عن أصحاب القسم الأول بطريقة تفكيرهم واختلاف نظرهم، فأصحاب القسم الأول الذين يقللون من أهمية الدافع العلمي يدفعهم لذلك الغيرة على الإسلام ونتج عنه حدة النقد للمستشرقين، أما أصحاب هذا القسم الذين يقرون بالأثر الإيجابي للدافع العلمي وهم لا يقلون غيرة عن أصحاب الموقف الأول إلا أنهم يختلفون في زاوية النظر، ويرون أن الاستشراق فيه جوانب قاتمة وبالمقابل هناك جوانب مفيدة ومؤثرة في الحضارة الإسلامية، ويرى د.علي النملة أن انبهار مجموعة من المستشرقين بالحضارة الإسلامية جعل بعضهم يغوص في علوم المسلمين ويتأثر بها وربما تحول بعضهم إلى الدين الإسلامي(١)، لذا صنف د.النملة الهدف العلمي إلى نوعين: هدف علمي نزيه خالص، وهدف علمي مشبوه، ثم استرسل في الحديث عن النزاهة العلمية عند بعض المستشرقين إلى أن قال: "الهدف العلمي هو المتوقع والمتوخّى من طائفة كرسوا حياتهم لدراسة الشرق والإسلام والعربية، ولا بأس من بعض الأخطاء والهنات إذا كان الهدف علمياً، ولا بأس من سوء الفهم ما دامت النية صادقة..." (٢)، وعند التأمل بهذا القول نشهد تساهلاً في النظر لأخطاء المستشرقين، فوجود الهدف العلمي وصفاء النية لا يلغي استنكار هذه الأخطاء والرد عليها وعدم قبولها بل نرى فيها بأساً وخللاً في قبول هذه الأخطاء والهنات.

ويرى أحمد سمايلوفتش أن الاستشراق في بدايته كانت تسوده نزعة الاستعمار والصراع الديني بين الشرق والغرب، ثم تحول المستشرقون بعد ذلك إلى "أغراض علمية هدفها كشف ما تكنه العلوم والفنون الشرقية

(١) انظر: كنه الاستشراق، علي النملة، ط٣، بيروت: دار بيسان، ١٤٣٢ه، ص٦٧-٦٨.
(٢) المرجع نفسه، ص١٠٥.

من كنوز ثمينة، وبتقدم هذه الدراسات اتصل حبل المودة بين الشرق والغرب وتوثقت العلاقة العلمية بين الدول الشرقية والغربية ..." [١].

وتذكر عائشة عبدالرحمن -بنت الشاطئ- أن ما قام به المستشرقون من التعصب هو طبيعة بشرية فترى أن "علماء الاستشراق بشر مثلنا، يتعصبون لدينهم وقومياتهم مثلما نتعصب لديننا وقوميتنا، وما ينبغي أن نلومهم على هذا التعصب أو نغضب لعجزهم عن التجرد من أهوائهم، وإنما نحن هنا بصدد قضية علمية وتاريخية، تلزمنا بأن نكون على وعي بما لابس عمل أكثر المستشرقين من انحراف لم يكن منه بد، بحكم ما استهدف الاستشراق في نشأته الأولى من خدمة الكنيسة .. وليس عليهم بأس في أن يقولوا فينا ما يقولون، متى كانت أقوالهم معبرة عن رأي لهم أو صدى لاستهوائهم بما راج في بيئاتهم من أقاويل عنّا، لكن البأس كل البأس أن يحمل " البحث العلمي" وزر هذه الأهواء فتخرج بحوث لهم مشحونة بأباطيل يزعمون أنها مما هدى إليه استقراؤهم لتراثنا، ويفرضون له حرمة علمية حين يسوقون شواهد من نصوص في التراث انحرف بها الهوى والتعصب، فضلوا ضلالاً بعيداً"[٢].

هذا الموقف هو الأقرب للصواب؛ لأن كتابات المستشرقين متاحة للاطلاع وسهل الوصول إليها، ويستطيع الباحث أن يميز بين الموضوعي والمتعصب، والحق والباطل فيها، لأن الجامعات ومراكز البحث العلمي في الجامعات الغربية تفتح أبوابها للدراسة وحضور الندوات والمؤتمرات ومقابلة القائمين عليها، كل هذه جعلت الحكم على الاستشراق أكثر موضوعية وتمييزاً بين خيره وشره.

---

(١) فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمايلوفتش، مرجع سابق، ص٥١.

(٢) تراثنا بين ماضٍ وحاضر، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، ط١، مصر: دار المعارف، ١٩٧٠م،ص ٥٣.





القسم الثالث: يمجدوا الدافع العلمي وأثره في دراسات التراث الإسلامي:

القسم الذي يمجد الاستشراق ودوافعه بإطلاق، ويرون لهم الفضل في تطور العلوم في البلاد الإسلامية دون أن ينتقدوا محاولة إضرارهم بالعالم العربي والإسلامي، بل ينتقدون من ينتقد الاستشراق، ويسميهم بعض المفكرين بـــ "تلاميذ المستشرقين" و "خلفاء المبشرين"، من أمثال طه حسين الذي يقول معجباً بالمستشرقين: "وكيف نتصور أستاذًا للأدب العربي لا يلم ولا ينتظر أن يلم بما انتهى إليه الفرنج من النتائج العلمية المختلفة حين درسوا تاريخ الشرق وأدبه ولغاته المختلفة! وإنما يلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس، ولابد من التماسه عندهم؛ حتى يتاح لنا نحن أن ننهض على أقدامنا، ونطير بأجنحتنا، ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وتاريخنا وآدابنا"[(١)]، وفي ذات المعنى يقول يوسف أسعد داغر: "إن أعمال المستشرقين نموذجية قياسية، بمعنى أن المستشرق يقوم ببحثه على وجه من المنطق العلمي الحديث والطريقة والسياق والاستطراد، وإذا تناول مستشرق موضوعاً معيناً أتقن عمله علمياً بحيث لا يدع لأحدٍ أن يضيف إلى ذلك العمل شيئاً"[(٢)].

يبالغ إبراهيم مدكور في الثناء على جهود المستشرقين حتى عدها المرجع الأول لمن يريد دراسة الثقافة الإسلامية، وامتدح -بإطلاق- دائرة المعارف الإسلامية المليئة بالمغالطات والأخطاء والافتراءات، بل يرى أن بداية الاستشراق- الذي تمثل في تتلمذ الغربيين في البلاد الإسلامية- مثله مثل الاستشراق الذي كان داعماً للاستعمار والتنصير، لذلك سأنقل كلاماً مطولاً لإبراهيم مدكور من خلاله يتضح توجه أصحاب هذا القسم، فيرى مدكور أن الاتصال بين الشرق والغرب عندما بدأ برحلة علماء

(١) في الأدب الجاهلي، طه حسين، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م، ص١٦.

(٢) مصادر الدراسة الأدبية، يوسف أسعد داغر، بيروت: مطبعة دار المخلّص، ١٩٥٦م ، ٢/٧٧٥،

الغرب إلى الشرق بهدف التتلمذ في معاهد الشرق والاستفادة من العلوم الإسلامية، وإنشاء مدارس اللغات الشرقية والمعاهد الإسلامية في برلين ولندن وباريس وروما، وما تلاها من إنشاء وتأليف جمعيات علمية وتاريخية لمعالجة مشكلات الحضارة العربية -كما يرى-، وعقد مؤتمرات المستشرقين من حين لآخر، كل هذه الأمور يراها إبراهيم مدكور أنها "كانت حافزاً على الدراسة وهادياً إلى البحث، ووقفت جرائد ومجلات علمية على الشرق والشرقيين ، تبودلت فيها الآراء ونوقشت المسائل ، فكانت مثار جدل وتحقيق وتمحيص، وكان لهذه الحركة ثمارها الطيبة، فكشف عن مخلفات لم تكن معروفة، وساعدت على نشر مخطوطات قيمة، ومكنت من طبع كتب نفيسة بعد تنقيحها وتحقيق نصوصها والتعليق عليها وشرحها، وترجمت طائفة من نفائس المكتبة العربية وذخائرها إلى اللغات الأوربية الحية، من إنجليزية وفرنسية، وألمانية وإيطالية، ونشأ عن هذا جو من البحث والدراسة استوعب أبواب الثقافة الإسلامية، بين لغة وأدب، وتاريخ وسياسة، وتفسير وتشريع، وعلوم وفلسفة، وقد وضع في كل ذلك بحوث متعددة ودراسات متنوعة، من مقالات مختصرة في الجرائد والمجلات العلمية، وكتب ومؤلفات موسعة ومستقلة .. فانقسم المستشرقون إلى مدارس وجماعات، فمنهم المختص في الأدب واللغة، والمعروف ببحوثه الفقهية والتشريعية، أو الصوفية والكلامية، أو العلمية والفلسفية. وكان من نتائج هذا الاختصاص والتفرغ « دائرة المعارف الإسلامية » التي ظهرت بالألمانية والإنجليزية والفرنسية، وجاءت الغاية القصوى لتلك الجهود الصادقة والمتلاحقة، وفيها أوضح دليل على سعة اطلاع المستشرقين وعظيم إلمامهم بنواحي الثقافة العربية، وتعد بحق المرجع الأول الذي لا يستغني عنه اليوم باحث في الدراسات الإسلامية"(١)، كما يرى مدكور أن أثر المستشرقين لم يقف عند الغرب وحده، بل امتد إلى الشرق "فأخذ عنهم الشرقيون كثيراً من آرائهم، وترجموا بعض

---

(١)في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، إبراهيم مدكور، القاهرة: دار الكتاب المصري، ١/٣٣-٣٥.

كتبهم، وبدؤوا يرتسمون خطاهم ويسهمون بدورهم في إحياء مجدهم"(١).

ويصرح طه العراقي بافتخاره بالاستشراق ودفاعه عنه، وانتقد الذين هاجموا المستشرقين ويرى أنه لا يوجد مبرر واحد ولا سبب معقول لهذا الهجوم، ثم يقول:" إنني أدافع عن المستشرقين دفاعا لا حد له، ولا أتردد في أن أقول إن بعض الأحكام التي نجدها عند المستشرقين قد تكون أكثر عمقاً من الأحكام السطحية الفجة والتي يقول بها كثير من المؤلفين العرب، ولنفرض جدلا أننا نختلف معهم"(٢).

هذه المواقف التي تمجد الاستشراق وتؤكد على أثره العلمي وصدق المستشرقين في نواياهم، ويرون أن نقاد الاستشراق جانبوا الصواب في انتقادهم ولم يكن لهم مبرر لهذا الهجوم، هذه المواقف أصحابها لا يعتمدون الوحيين أساساً للحكم، ولا مصلحة الشعوب العربية والإسلامية، بل منطلقهم إعجاب بالغرب ومنتجاته وأفكاره ويرون من أنفسهم سفراء لأفكارهم.

---

(١) العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر، طه العراقي، القاهرة: دار قباء، ١٩٩٨م، ص١٠٥.

(٢) في الأدب الجاهلي، طه حسين، مرجع سابق، ص١٦.





الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى ما يلي:

أولاً النتائج:

١) الاستشراق له إسهامات ظاهرة في التراث الإسلامي.

٢) انحصرت إسهامات الاستشراق بالمخطوطات وتوثيقها، وتحقيق الكتب، والتأليف، والترجمة والتدريس الجامعي.

٣) هذه الإسهامات للاستشراق فيها الإيجابي والسلبي، والصحيح والخطأ، وكان هذا من أسباب اختلاف المسلمين تجاه الاستشراق.

٤) مفهوم الاستشراق ودوافعه له أثر كبير في الموقف منه، وخرج البحث بتقسيم الباحثين إلى ثلاث اتجاهات: الاتجاه الرافض له، والاتجاه الناقد الموضوعي، واتجاه القبول المطلق له، ولكل اتجاه سماته الخاصة وأسباب اتخاذه هذا الموقف من الاستشراق.

٥) أصحاب الاتجاه الرافض للاستشراق يرون ندرة وجوده وضعف أثره في الدراسات الإسلامية، وهم وإن يرون ندرة وجوده إلا أنهم يضعون بعض المحددات التي تؤدي إلى عدم اعتبار الدافع العلمي عاملاً مؤثراً في دراسات التراث الإسلامي.

٦) أصحاب الاتجاه الناقد للاستشراق يرون وجود الدافع العلمي، وأثره ظاهراً في الدراسات الإسلامية، مع إقرارهم بالجوانب السلبية للاستشراق.

٧) أصحاب الاتجاه الذي قبل الاستشراق بإطلاق، يمجدون الأثر العلمي للاستشراق، ويرون أهمية اقتفاء أثر المستشرقين في دراسة التراث الإسلامي.

ثانياً التوصيات:

يوصي الباحثون بأهمية وجود مشروع علمي لتقييم الاستشراق وتحديد مفهوم يعبّر عن حقيقة منتجاته، وهذا المشروع يعالج الاستشراق من كل الجوانب العلمية التي أنتجها في التراث





الإسلامي، والسياسة، والاقتصاد، والاجتماع، واللغة، والجغرافية، والتاريخ، وعلم الآثار، وغيرها، بحيث نقف بشكل دقيق على الاستشراق وأثره في العالم الإسلامي.





المصادر والمراجع

١. أجنحة المكر الثلاثة. حبنكه، عبدالرحمن حسن. ط٨، دمشق: دار القلم، ١٤٢٠هـ.

٢. الاستشراق بين الحقيقة والتضليل. محمد، إسماعيل علي. ط٣، القاهرة: الكلمة للنشر والتوزيع،٢٠٠٠م.

٣. الاستشراق تعريفه-مدارسه- آثاره. النبهان، محمد فاروق. (د.ط)، الرباط: منشورات المنظّمة الإسلامية للتربية والإعلام والثقافة، ٢٠١٢م.

٤. الاستشراق والتبشير. الجليند، د. محمد السيد. (د . ط)، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، (د . ت).

٥. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. زقزوق، محمود حمدي. ط٢. القاهرة: دار المنار١٤٠٩هـ.

٦. الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغرب. زماني، محمد حسن . ترجمة: محمد نور الدين عبدالمنعم. ط١، القاهرة: المركز القومي للترجمة،٢٠١٠م.

٧. الاستشراق والدراسات الإسلامية. النملة، علي بن إبراهيم. ط١، الرياض: مكتبة التوبة،١٤١٨هـ.

٨. الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم. السباعي، مصطفى. د.ط، بيروت: دار الوراق للنشر والتوزيع- المكتب الإسلامي، د.ت.

٩. الاستشراق ودوره في توثيق وتحقيق التراث العربي المخطوط. طاشكندي، عباس. مجلة عالم الكتب، الرياض، العدد لأول، م (٥)، ١٩٨٤م.

١٠. الاستشراق. سعيد، إدوارد ، ترجمة: د.محمد العناني. ط١، القاهرة: دار رؤية، ٢٠٠٦م.

١١. الإسلام في تصورات الغرب. زقزوق، محمود حمدي. ط١، القاهرة: مكتبة وهبة،١٤٠٧هـ.

١٢. الإسلام والحضارة العربية. حسين، محمد محمد. ط١، د.م:دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٩٧٥م.

١٣. تاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين ١٩٢٠-١٩٤٠.الجندي، أنور. د. ط، القاهرة: دار الاعتصام، د . ت.

١٤. التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة. الجندي، أنور. د.ط، القاهرة: دار الأنصار، (د.ت).





١٥. دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. الغزالي، محمد. ط٧، القاهرة: دار نهضة مصر، ٢٠٠٥م.

١٦. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. شاكر، محمود محمد. د . ط، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د . ت).

١٧. رؤية إسلامية للاستشراق. غراب، أحمد عبدالحميد. بيرمنجهام: المنتدى الإسلامي، ط٢، ١٤١١هـ.

١٨. العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر. العراقي، طه، د.ط، القاهرة: دار قباء، ١٩٩٨م.

١٩. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، سمايلوفتش، أحمد، (د. ط)، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٨م.

٢٠. في الأدب الجاهلي. طه حسين، ط.د، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م.

٢١. في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه. مدكور، إبراهيم. ط١، القاهرة: دار الكتاب المصري، د.ت.

٢٢. كنه الاستشراق. النملة د. علي بن إبراهيم ، ط٣، بيروت: دار بيسان، ١٤٣٢ه.

٢٣. المستشرقون ونشر التراث دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر. النملة، علي بن إبراهيم، ط١، الرياض: د.ن، ١٤٢٣م.

٢٤. المستشرقون. العقيقي، نجيب، ط٣، مصر: دار المعارف، ١٩٦٤م.

٢٥. مصادر الدراسة الأدبية. داغر، يوسف أسعد، د.ط، بيروت: مطبعة دار المخلّص، ١٩٥٦م.

٢٦. نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر. شايب، لخضر، (د . ط)، الرياض: العبيكان، (د.ت).

٢٧. نور الإسلام وأباطيل الاستشراق. أبو النجا، د.فاطمة ، ط١، لبنان: دار الإيمان، ١٩٩٣م.